

## النص التراثي العربي ومناهج النقد الحديث والمعاصر

## The Arabic Heritage Text and Modern and Contemporary Criticism Methods.

د. سامية غشّير<sup>1</sup>، د. وحيدة بوقنوس<sup>2</sup>\*<sup>1</sup> كلية الآداب والفنون - جامعة الشلف ( الجزائر)

samiaghechir@gmail.com

<sup>2</sup> كلية الآداب والفنون - جامعة الشلف ( الجزائر)

W.bouguenous@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2025 /05/15 - تاريخ القبول: 2025 /06/19 - تاريخ النشر: 2025 /07/06

## ملخص:

لطالما تغنى الشعراء الجاهليون بالمرأة، وعملوا على تقديم أوصاف معنوية وحسية تكشف جمالها وحسنها، وتعبّر عن مدى حبّ الشاعر لها، وشغفه بها، وقد تظهر ذلك في قصائد غزلية لشعراء تركوا بصمات لامعة في تاريخ الشعر العربي، ومنهم الشاعر "امرئ القيس".

وتهدف هذا المقال إلى إبراز طريقة تناول الشاعر "امرئ القيس" موضوع المرأة في شعره من خلال اتباع المنهج الموضوعاتي في الدراسة، الذي يقوم على الكشف عن الموضوع الرئيس، والمواضيع المتفرعة عنه وقد اتخذنا قصيدة "قصيدة قفا نبك" نموذجاً لنموذجاً للدراسة.

الكلمات المفتاحية: الشعر الجاهلي، المرأة، غزل، قفا نبك، المنهج الموضوعاتي.

## Abstract:

\* المؤلف المرسل: د. وحيدة بوقنوس

Pre-Islamic poets have always praised women, providing moral and sensual descriptions that reveal their beauty and grace, and express the extent of the poet's love and passion for them. This was manifested in the erotic poems of poets who left brilliant marks in the history of Arabic poetry, including the poet Imru' al-Qais.

This article aims to highlight the way the poet Imru' al-Qais addressed the topic of women in his poetry by following the thematic approach in the study, which is based on revealing the main topic and the topics branching off from it. We have taken the poem "Qafa Nabki" as a model for the study.

**Keywords:** Pre-Islamic poetry, women, love poetry, Qafa Nabki, thematic approach.

## 1. مقدمة:

يعدّ موضوع المرأة من المواضيع الرئيسة التي تستهوي كُتّاب الرواية المعاصرة، وذلك نظرًا للأدوار الهامة التي تؤديها في الوطن، وفي المجتمع، وفي حياة الفرد المثقف، حيث تفتح له أبواب الإبداع والتألق في كثير من الأحيان، كما أنّها تعرقل طريق نجاحه في أحيان أخرى.

فالمرأة تحتلّ موقعًا متميزًا في المشهد الإبداعيّ شعرا ونثرا، حيث تناول الكُتّاب الجزائريون قضية المرأة بكثير من "الحريّة في التناول، والجرأة في الطّرح، وإعطاء تصوّر الذّهنيّ والبديل".<sup>2</sup> وانطلاقا من أهميّة المرأة بالنسبة للكاتب، كونها مصر إلهامه وكتاباته، فمنها يستمدّ الكلمات والمعاني، والصّور والأخيلة، ويستمدّ أيضا السّعادة، والحلم، والأمل، والحياة، والتّفاؤل، والإبداع فكانت حاضرة في الأدب العربيّ قديما وحديثا خاصّة في الشّعْر الجاهلي، ومنهم الشّاعر "امرئ القيس"، الذي أبدع قصائد عديدة يصف ويصوّر المرأة فيها بأجمل الصّفات وأبهاها، وهذا ما لاحظناه في قصيدة "قفا نبك".

## 1- المنهج الموضوعاتي: أسئلة المنهج وممارسة النقد

يعدّ المنهج الموضوعاتي من المناهج النقدية المعاصرة، فهذا المنهج الذي يجمع عدّة مناهج مختلفة (البنويّة، النفسيّة، الوجوديّة، الفكرية) وغيرها، ولقد تنوّعت وتعدّدت تسمياته "فتراوحت بين (الموضوعاتية) و (الظاهراتية) و (العرضية)، و (الأغراضية)، و (الجزرية)، و (المدارية)...، وقد ترد تسمية مردفة بوصف منهجيّ آخر، فيقال (الموضوعية البنويّة)، ولو أنّ الموضوعاتية (Thématique) ليست حكراً على البنويّة، بل هي منهج بلا هويّة أو ميدان نقدي هلامي تتداخل فيه مختلف الرّؤى الفلسفيّة والمناهج النقدية (الظاهراتية، الوجودية، التأويلية البنويّة النفسانيّة...) "<sup>3</sup>

فهذا المنهج — الذي تتضافر فيه عدّة مناهج — يقوم على البحث في الموضوعات الأكثر طغياناً في النصوص الأدبية، والعمل على إجلائها، ثمّ دراستها والبحث في الموضوعات الفرعية المتفرّعة عنها. ظهر هذا المنهج وتطوّر في كنف الفلسفة الظاهراتية "وتغذّى على أفكار الفيلسوف الفرنسي غاستور باشار **Gaston Bachelard** (1884-1962)، ونما وتطوّر ابتداءً من ستينيات القرن العشرين في بيئة فرنسيّة أساساً. "<sup>4</sup>

يركّز النقد الموضوعاتيّ على فكرة جوهرية هامة جدّاً وهي "أنّ الأدب هو موضوع تجربة أكثر منه معرفة، وأنّ هذه التجربة ذات جوهر روحيّ. "<sup>5</sup>

فهذا المنهج يجنح إلى الجانب الروحيّ في قراءة النصوص الأدبية "فالنقد الموضوعاتي ينطلق من رفض أيّ تصوّر لعي أو شكلائيّ للأدب، ورفض اعتبار النصّ الأدبيّ غرضاً يمكن استنفاد معناه بالتقمص الأدبيّ. وفكرته المركزية هي أنّ الأدب هو موضوع تجربة أكثر منه معرفة. وأنّ هذه التجربة ذات جوهر روحيّ. "<sup>6</sup>

وقد اهتمّ عديد النقاد والباحثين بالمنهج الموضوعاتيّ تنظيراً وتطبيقاً وتعريفاً منهم النّاقِد "محمّد عزّام" إلى طبيعة هذا المنهج الّذي "يبحث عن الموضوع أو الثّيمة الّتي تشكّل الكاتب وتظهر في كتاباته".<sup>7</sup>

ومن أعلام هذا المنهج نجد "جون بول ويبر **Jean- Paul Weber**، وجورج بولي **G.**

**Poulet**، وجون روسي **Jean Rousset**، وجيلبار دوران **Gilbert Durand**، وجون

ستاروبنسكي **Jean Starobinski**، وجان بيار ريشار **Jean Pierre Richard**"<sup>8</sup>

يرتكز النقد الموضوعاتيّ على الوعي الإدراكيّ للكاتب، ويركّز على العلاقة مع العالم، فكلّ وعي عند

نقاد المنهج الموضوعاتيّ هو وعي مرتبط بشيء معيّن "سواء أكان بالذّات أم بعالم الأشياء الّذي يحيط بنا،

فالعلاقة أحد المفاهيم الرّئيسيّة في النقد الموضوعاتيّ. فالأنا يؤسّس ذاته من خلال علاقته معها، وهو

يتحدّد من خلال علاقته مع ما يُحيط به، والتّأكيد على موضع - وهي فعل علاقة جوهرية - يدين بالكثير

لهذا الحدس. إذ يرى باشلار أنّ "النّظرة مبدأ كوني" ويكرّس روسيه سلسلة دراسات لـ "مشهد النّظرة

الأولى في " في كتابه "والتقت العيون" كما يعطي ستاروبنسكي للفعل النقدي شعار "العين الحيّة".<sup>9</sup>

يركّز النقد الموضوعاتيّ على ربط بين الإبداع والمعطى الحسيّ، فلا يجوز فصلهما عن بعض "فالنقد

الموضوعاتيّ يسلمّ إذن بوجود علاقة مزدوجة تبادليّة بين الذّات، بين العالم والوعي، كما يهتمّ بشكل خاصّ

بكلّ ما يشير في النصّ إلى ديناميّة الكتابة، فستاروبنسكي يعمل على إظهار "المبدأ الحركي الّذي يدير

فكرة التّاريخ عند روسو" (العلاقة النقدية) وهو لا يسمّي جزافاً دراسته

حول مونتيني مؤلّف الرّسائل "مونتيني في حالة الحركة" إذ يظهر كيف يعتمد مونتيني طريقة "البناء

بالتولّدات الذّاتيّة المتتاليّة" أمّا ريشار فيسعى في تعليقه على أعمال مالارميه إلى مواكبة انتشار النصّ عوضاً

عن البقاء على "عتبه" وهي طريقة لتفادي تحجير عمل الكاتب باختزاله إلى موضوع للدراسة، ولتناوله في حركته المبدعة.<sup>10</sup>

يعدّ الخيال أبرز مرتكزات المنهج الموضوعاتي، فكّلما تسلّح المبدع بالخيال كلّما قرأ النصّ بطريقة إبداعية جمالية، فالخيال "يسمح للموضوعاتين بالابتعاد عن تصوّر الوظيفي للنفس الإنسانية واعتبارها ملكة مبدعة منجزة، إذ يرى باشلار وهو الذي مهّد هذا المجال أمام جميع النقاد الموضوعاتيين. أنّ الخيال ديناميكية منتظمة. ويتعدّد هذا التّصوّر كلّ البعد عن تصوّر سارتر الذي يضيف على الخيال أثر الواقع "العدمي" فالخيال ينظّم العالم الخاص للفنان لأنّه ظاهرة وجود.<sup>11</sup>

يعمل الإجراء الموضوعاتيّ على دراسة النصّ الأدبيّ كوحدة كلية شاملة، من خلال دراسة العلاقة بين بنيات النصّ "فالناقد يحاول الوقوع عليها من خلال الوحدة الكلية العضوية للنصّ المدروس، وينعكس هذا الوضوح الشّموليّ في اختيار موضوعات متميّزة للتحليل: فمسألة الأنا ووحدها وتماسكها مطروحة دومًا لأنّها ترجع إلى فكرة وحدة العمل الأدبيّ، وإلى الإجراء التقدي الموحد.<sup>12</sup>

إنّ الدراسة الموضوعاتية تلزم على الناقد أن يكون واعيًا في تحليله للنصوص الأدبية، يمتلك خيالًا مبدعًا وروحًا شاعريّة، كما تلزم عليه أن يكون على "درجة عالية من التركيز في الشّرح والتّعليق، إذ "يسيطر" الناقد العمل الأدبيّ ثمّ يجول فيه كما لو كان في فضاء يتزامن ظهور ما فيه مع نظره إليه. فيخضع بالتّالي كلّ جزء من العمل الأدبيّ للنّظرة الشّاملة التي تلتقطه أولاً بأول.<sup>13</sup>

إنّ الإجراء الموضوعاتيّ يعدّ أصعب المناهج إجرائيًا بسبب تركيزه الكبير على دراسة النصّ دراسة كلية إضافةً إلى احتوائه على عدّة مناهج أبرزها البنيوية والنّفسية، وهذا ما يصعب من دور الناقد في عملية نقد

التصّوص، فهو يتطلّب منه أن يكون ذكيًا وواعيًا ويملك خيالًا مبدعًا لكي يعيد قراءة النصّ بطريقة أكثر جماليّة.

## 2-1- خطوات الإجراء الموضوعاتي:

### 2-1-أ- دراسة الموضوع (Thème)

يعدّ الموضوع العنصر الرئيس الذي يقوم عليه أيّ عمل أدبي، وهو اللبنة الأساسيّة التي يبنى عليها، فالموضوع هو "الفكرة العامّة التي يبنى عليها العمل الأدبي، وهو ينطلق من الذات، أو من المحيط، وتدخله العاطفة وجزئيات لا بدّ منها لكمال الفكرة. ولكلّ عمل أدبيّ موضوع. والموضوع هو المادّة الكتابيّة، والأسلوب هو بناء هذا الموضوع."<sup>14</sup>

يوظّف الجذر اللّغوي الفرنسي (Thème) عند كثيرٍ من النّقاد والباحثين، والظاهر أنّ هذا اللفظ يُقابله في الموضوع، ومردّد ذلك "أولاً أنّ كلمة جذر لها معنى خاص في المدرسة الجذريّة الحديثة، بحيث تفرّقه عن كلمة موضوع. وثانيًا لأنّ تعبير (جذريّ) أو (المدرسة الجذريّة) يجنبنا استعمال كلمة (موضوعيّة) أو (المدرسة الموضوعيّة) بمعنى (عكس ما هو ذاتيّ)، وقد استخدم النّقاد التّقليديّون كلمة (جذر) منذ زمن طويل عندما كانوا يبحثون في نصوص كاتب معيّن عن (موضوع) عاجله أو فكرة تشغله، وتظهر من خلال كتاباته. بينما النقاد المعاصرون عندما يبحثون عن الجذر يحاولون توضيح (شبكة منظّمة من الأفكار الملحّة) لدى هذا الكاتب."<sup>15</sup>

إنّ الموضوع في المنهج الموضوعاتيّ يشكّل وحدةً دلاليّةً هامّةً جدًّا، ويتمظهر من خلاله علاقة المعطى الحدسيّ بالإبداع، وهذا ما أكّد عليه عديد النّقاد الموضوعاتيين، ويُعيّن الباحث المغربي "عبد الكريم حسن" إلى طبيعة الموضوع، إذ "على محيط الموضوع تتجمّع وتتفاعل مفاهيم عديدة كمفهوم البنية والشكل والعلاقة...، ممّا يقدّم الموضوعيّة كمنهج متكامل في التّحليل والتّفكير."<sup>16</sup>

## 2-1-ب- دراسة الجذر (Racine)

يقوم المنهج الموضوعاتيّ على دراسة الجذر (Racine) الذي يعدّ مجموعة البنيات المشكلة للوحدة الموضوعاتيّة، فالجذر "هو البنية التّحتيّة للموضوع.. نواته الأولى، هو الامتداد القصّي للموضوع الموغل في أعماق نفسيّة بجمّة، هو القانون السيكلوجيّ الذي يحكم الظّاهرة الموضوعاتيّة، وهو - أخيراً - التّص في ارتباطه بالجهاز النفسي لصاحبه."<sup>17</sup>

## 2-1-ج- التشجير الموضوعاتيّ:

يعدّ التشجير من أبرز إجراءات المنهج الموضوعاتيّ، وقد طبقه كثير من النّقاد الغرب والعرب في درساتهم الموضوعاتيّة للتّصوص الأدبيّة (شعراً، رواية)، فهو يكشف عن الموضوع المهيمن، والموضوعات الفرعيّة، وفروع الموضوعات الفرعيّة، ف"هذا المخطّط الذي لا يستجيب - بلا شكّ - لصرامة الشّجرة الألسنيّة على أساس أنّ التشجير الموضوعاتيّ متضافر ومتداخل ومعقد التّفريع"<sup>18</sup>.

## 3. موضوعة المرأة في شعر امرئ القيس - نماذج مختارة-

تعدّ موضوعة من أكثر الموضوعات حضوراً في الأدب العربيّ شعراً ونثراً، وقد عُنت عديد الروايات والقصص، والأشعار بتصوير المرأة ووصفها بصور عُذريّة وإباحيّة، وعدّها رمزا يحمل مدلولات ومعاني منها: الحبّ، الجمال، المدينة، الوطن.

ونالت المرأة الحظوة الكبيرة في الشعر الجاهليّ خاصّة عند شعراء المعلّقات أمثال "عنترة بن شدّاد" و"امرئ القيس"، وشعراء آخرين أمثال "جميل بن معمر"، و"المهلهل بن أبي ربيعة"، وغيرهم. فهؤلاء الشعراء عزّزوا مكانة المرأة، وتغنّوا بها في قصائدهم، بعد أن عانت من الاضطهاد والوآد والقمع الاجتماعيّ

في بعض القبائل الجاهليّة فصور العنف ضدّ المرأة لا تعبّر عن أصالة العرب، واتّصافهم بمكارم الأخلاق، ومحبتهم لبناتهم/ فالمرأة "في الحياة الاجتماعيّة كانت عزيزة عالية القدر، ذات شخصيّة ورأي وحرّيّة".<sup>19</sup> فالمرأة تحتلّ موقعًا متميزًا في الكتابة العربيّة منذ القدم، حيث تناول الكتّاب بكثير من "الحرّيّة في التناول، والجرأة في الطّرح، وإعطاء تصوّر الذّهنيّ والبديل".<sup>20</sup> لقد تطرّق الشعراء "امرؤ القيس في قصائده إلى تناول رمز المرأة الذي انفتح على تمثّلات كثيرة ماديّة جنسيّة من جهة، ورمزيّة إيحائيّة من جهة أخرى. حيث تتمظهر علاقة المرأة بالمتقف في تجلّيات عديدة نذكر منها: المرأة الحبيبة، المرأة الوطن، المرأة الجنس.

### 3-1- المرأة الحبيبة:

تعدّ تيمة الحبّ من أبرز التيمات التي كتب فيها الشعراء الجاهليون، حيث تحضر في كلّ قصائدهم، التي أبرزت بعمق معاناتهم الحبّ الشّديد، والإفراط في العشق، والاحتراق بلهبه، والفناء في الوصال، والتوحد في العشق إلى درجة الفناء، فهذه الحالة تشعر الإنسان بالرغبة الجاحقة في الاحتراق والاستشهاد في عشق المحبوب.

فالحبّ ذلك الشّعور المفعم بالعطاء والصّفاء والتّقاء، هو أعظم شعور في الوجود، فهو الطّريق نحو تحقيق السّعادة المثلى والخلود والعظمة، فقد حُضي بمكانة هامّة جدًّا في الثقافات العالميّة، فهو ثقافة في حدّ ذاتها، حيث احتفى به العرب وتعدّدت "أشعارهم وقصصهم حوله مبتدعين أو مختلفين عن غيرهم من الأمم، وإشادتهم بشهداء الحبّ وشعرائهم، ودرجة اهتمامهم بكلّ ألوانه من العذريّة إلى الحسيّة الصّريحة هو ما يتوافق وحضاراتهم ذات الطّابع العقلي والروحي والوجداني".<sup>21</sup>

وقد بالغ الشعراء الجاهليون في وصف مدى محبتهم للمرأة من خلال غرض الغزل الذي تظهر في مستويين: الغزل العفيف، والغزل الماجن. فالغزل العفيف يصور مشاعر الحب النقي، أما الغزل الماجن فمن خلاله يصور الشاعر المرأة في مشاهد وصور مفضوح، وهذا النوع الأكثر هيمنة في قصائد "امرئ القيس"، إذ يقول:

أَفَاطِمَ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ  
وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرَمْتُ صَرْمِي فَأَجْمَلِي  
وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ  
فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ  
أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبَّكَ قَاتِلِي  
وَأَنَّكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ؟  
وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَضْرِبِي  
بِسَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقْتَلِ  
وَبَيْضَةِ خَدْرٍ لَا يُرَامُ حِبَاؤُهَا  
تَمَتَّعْتُ مِنْ هُوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ  
تَجَاوَزْتُ أَحْرَاسًا إِلَيْهَا وَمَعَشَرًا  
عَلَيَّ حِرَاصًا لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي  
إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ  
تَعْرِضُ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ  
فَجِئْتُ وَقَدْ نَصَّتُ لِنَوْمِ ثِيَابِهَا  
لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضَّلِ

وقد أبرز الشاعر الجاهلي مدى شغفه وعشقه للمرأة، ووصف مشاعره وأحاسيسه، وتصوير مفاتن المرأة الحبيبة التي لونت حياته بأطياف الجمال، وألوان الحياة المبهجة، فكان الغزل أكثر الأغراض انتشارا

وشبوعا لتداخله مع أغراض أخرى مثل: المدح، الرثاء، والوصف، فعبر الشعراء الجاهليون عن " أطلال ديار الأحبة، عن الوصل والهجر، والسعادة والعذاب، وعن القرب والبعد، فقد احتلّ الغزل هذا الحيز الكبير من الشعر العربي لارتباطه الوثيق بحياة الكاتب، الذي يهزّ الحب، ويفيض قلبه بالعواطف.<sup>22</sup> يقول الشاعر:

مُهْفَهْفَةٌ بِيضَاءُ غَيْرِ مُفَاضَةٍ  
تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ  
كَبِكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ  
غَذَاهَا تَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْمُحْلَلِ

لقد وظّف الشاعر مُعْجَمًا لغويًا يكشف عُقْمَ مَحَبَّتِهِ لِلْمَرْأَةِ، وافتتانه بها عبر لغة فاضحة، ومفردات رمزية معبرة، وصور بيانية أوضحت تفاصيل جسدها، الذي يحمل مواصفات المرأة العربية الأصلية التي تعقّ بها الشعراء كثيرا في دواوينهم.

### 3-2- للمرأة / المكان / الوطن:

ارتبطت المرأة بعاطفة الشاعر ونفسيته ارتباطًا حميميًا، هذا الأخير أعدها رمزًا وطنيًا يتحدّ من خلالها مع صورة الوطن الذي يأمل قربه ووصاله، فأراد من خلال المرأة/ الحبيبة/ الاحتماء بخصن الوطن والاتحاد صوفيًا معه، فالشاعر لا يهدف من وراء سرد صورة المرأة في القصيدة إلى "تصوير المرأة تصويرًا حسيًا فحسب؛ بل يتخذها رمزًا لشيء آخر، كأن يرمز بها إلى الحرية أو الثورة أو الوطن.<sup>23</sup> إنّ المرأة / الوطن تعدّ الذاكرة بالنسبة للشاعر، فهي التي تحتلّ تاريخًا مهمًا في حياته، ونضاله اليومي، وتواريخه المنسية، واغترابه الجسدي والعاطفي، إنّها الوطن الذي يحتمي به طمعًا في النجاة من كوابيس الواقع

المؤلم، وعبثية الحياة، إنها المرأة الحلم، المرأة الفن، المرأة الكابوس، المرأة الطاغية، إنها الوطن بمواطن سحره، وبشاعته، وسوداويته وألقه، وأحزانه وتطلعاته.

وقد برزت لفظة (الطلل) في الشعر الجاهلي كمرادف للمكان، الذي يتضمن الذكريات والرغبات وعلاقة الألفة، ومشاعر الحب، والموت، والاعتراب، والفراق. ونظرا لمكانة الطلل عند الشعراء الجاهليين فقد افتتحوا قصائدهم به (المقدمة الطللية) للتعبير عن رمزية المكان الذي كان شاهدا على لحظات وذكريات ومشاعر الحب بين المحبين.

يقول الشاعر:

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ \* بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَخَوْمِلِ  
فَتَوَضَّحْ فَالْمِقْرَاءَ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا \* لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَالِ  
كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا \* لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ  
وُقُوفًا بِمَا صَحَّحِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ \* يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ  
وَأَنْ شِفَائِي عَبْرَةُ مُهْرَاقَةٍ \* فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

يفقد المكان جوهره ومعناه بغياب الألفة، الذي يملؤونه دفئا، وشغفا، وأملا، وفرحا؛ ويفقدونهم يفقد الشاعر جزءا من كيانه، يظل حزينا يائسا يذرف دموع الحسرة والأسى، ويتربص اللحظات طمعا في عودتهم فالمكان يرتبط بالأشخاص ارتباطا حميما ولا ينفصل عنه أبدا. ونظرا لقيمة المرأة في حياة الشاعر فقد جعل الانفصال عنها (الاعتراب الوجداني) بمثابة الانفصال عن المكان (الاعتراب المكاني)، فالحبسية كانت عنده هي الحصن، والملجأ، والملاذ وحقيقته اليقينية، ف"لابد أن تكون حقيقة الديار بحياة الإنسان قد لازمته منذ أن عرف الحياة فكان إقفار هذه الديار بالنسبة لهم يعني إقفار الحياة نفسها وهذا وحده يكفي لتفجير كثير من الأحاسيس ومن خلال ذلك كان الشاعر يحاول أن يطابق بين هذه الصور ويربط بين موت الناس ومفارقة الديار" <sup>24</sup>.

فالمرأة بالرغم من قسوتها وتسليطها وهجرها تظلّ مدينة المثقف الشعريّة، وبؤرة كتاباته، ودفاتر ذكرياته، وسرّ حياته، فبدونها لا يستطيع ذلك المحبّ أن يستمرّ في الحياة، فالمرأة هي الحياة الأخرى والوطن الآخر الذي يحلم به الإنسان المثقف بعيداً عن الحسابات الاجتماعية والسياسية والمعتقدات الفكرية، فهي تسكن كيانه وتفتنه بجغرافية أنوثتها وتضاريس عبقها الأنثوي، فتكون تذكّره نحو عوالم الدهشة والرّوعة، ومنقذته من الهموم، والمشاكل، والاعتراب والخياب الحياتية.

### 3-3- المرأة/ الجسد/ الجنس:

لقد مثلّ الجسد/ الجنس حضوراً لافتاً في الكتابات الشعرية، إذ يتضح ذلك من "خلال اللغة الواصفة المشبعة بالإيحاءات والدلالات الجنسية".<sup>25</sup>

لقد مثلّت المرأة/ الجنس في شعر "امريء القيس" مصدراً لقوة الرّجل، ومنبع إلهامه وإبداعه فالجسد/ الجنس يمثّل للمثقف "معطى إنسانيّ يتميّز بخصوصية وفسيولوجية يمكن اعتبارها المادة الخام لنحت الكلمات والصّور البلاغية".<sup>26</sup>

يقول الشّاعر:

مُهْفَهْفَةٌ بِيَضَاءٍ غَيْرِ مُفَاضَةٍ

تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجَلِ

كَبْكَبِ الْمَقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ

غَدَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ مُحَلَّلِ

تَصُدُّ وَتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَنْقِي

بِنَاطِرَةٍ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مُطْفَلِ

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ

إِذَا هِيَ نَصْنَهُ وَلَا بِمُعْطَلٍ  
وَفَرِعَ يَزِينُ الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ  
أَثِيثٌ كَقِنُو النَّخْلَةِ الْمُتَعَثِّكِ  
غَدَائِرُهُ مُسْتَشْرِزَاتٌ إِلَى الْعُلَا  
تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ  
وَكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالْجَدِيلِ مُحْصَرٍ  
وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقْيِ الْمُدَّلِلِ  
وَتُضْحِي فَتَيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا  
نُؤُومُ الصَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلٍ  
وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَشْنٍ كَأَنَّهُ  
أَسَارِيْعُ ظَنِيٍّ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحَلٍ  
تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا  
مَنَارَةٌ مُمَسَى رَاهِبٍ مُنْتَبِلٍ  
إِلَى مِثْلِهَا يَزْنُو الْحَلِيمُ صَبَابَةً  
إِذَا مَا اسْبَكَرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ وَمُجْوَلٍ  
تَسَلَّتْ عَمَائَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الصَّبَا  
وَلَيْسَ فُؤَادِي عَنْ هَوَاكِ بِمُنْسَلٍ  
أَلَا رَبِّ حَصْمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتُهُ  
نَصِيحٍ عَلَى تَغْدَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلٍ

وقد عُرف الشّاعر بغزله الماجن، الذي يقوم على التقاط مواطن الإغراء والإغواء في جسد المرأة، ووصفه بشكل مفضوح، فالشّاعر يعرّي ذلك الجسد، ويصوّره تصويراً إباحياً للكشف عن جماله،

أنوثته الطاغية، فالحيبة عنده لا تشبه باقي النساء، هي امرأة مصنوعة من ألق ونور، وبياض لامع، وسحر فتان.

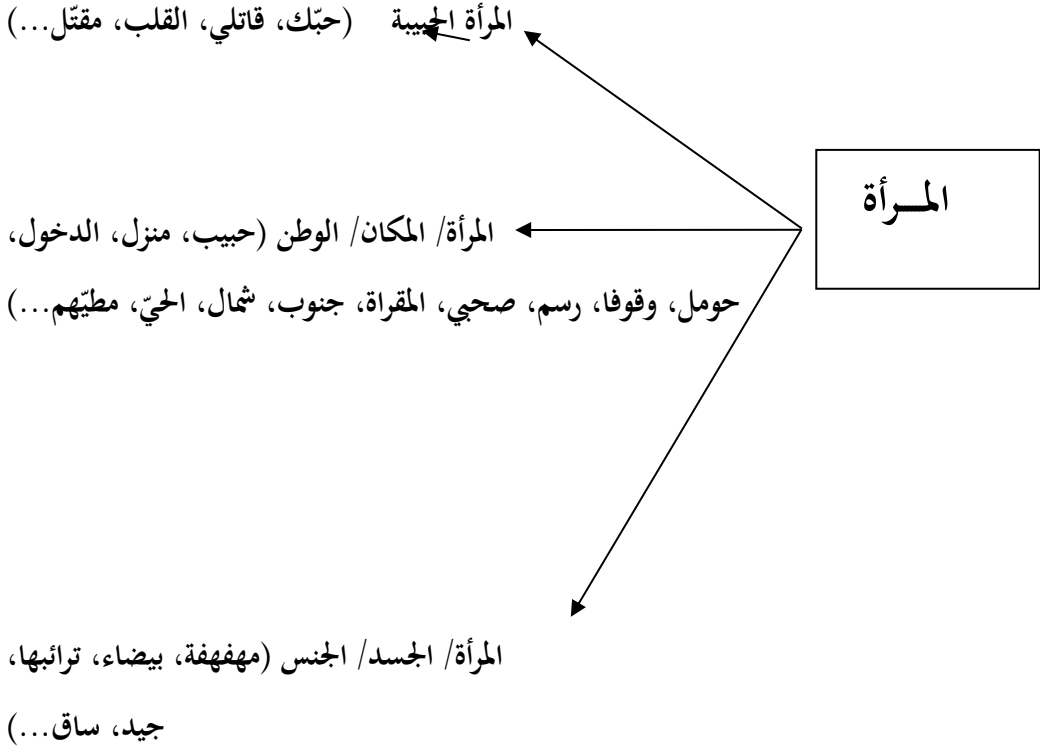
فالمرأة ألهمت الشاعر، وخصبت خياله، وفتقت قرائحه الإبداعية، وجعلته يبتكر أبهى الصور وجعلته يستسلم للحروف الأبجدية ويسبح في بياض الورق، ليكتب صرخاته المكتومة، ومشاعره المتدققة، فالمرأة/ الجنس هنا أثارت الشاعر وأغوته. فالمتع الجنسية منحت للكاتب جنة الرغبات حيث أفرغت فيه شهوة الكتابة، ودفعته إلى عوالم الإبداع والثقافة والجمال، فالجنس يعدّ عند شعراء الغزل الدافع الرئيس الذي يركز عليه لرسم أفكاره وتصوّراته، وأمنيّاته وطموحاته، كما يعمد أيضا إلى رسمها في صورة مفضوحة، " ليبرهن على أنّ الجنس فلسفة الوجود وعمود الحضارة"<sup>27</sup>، يقول الشاعر:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الحِدرَ حِدرَ غَنِيْزَةٍ  
فَقَالَتْ لَكَ الْوَيَلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي  
تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيْطُ بِنَا مَعًا  
عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا اِمْرَأَ الْقَيْسِ فَاَنْزِلْ  
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ  
وَلَا تُبْعِدْنِي مِنْ جَنَّاكِ الْمُعَلَّلِ  
فَمِثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرْضِعٍ  
فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي مَمَائِمِ مُحَوِّلِ

فالظاهر أنّ نسق الشهوانية والفحولة الذكورية عند الشاعر يظهر في سياق حديثه عن الجسد، فيصوّره بصور شهوانية ساقطة بتفاصيله ومناطق الإغراء المختلفة، فجسد المرأة حمل عديد المدلولات

المعروفة في التراث العربي ( الجمال، الهيف، الشبق)، كما دلّ على مشاعر الانكسار، والانهايار والضّيع، والعبث التي يعيشها الشاعر نتيجة بُعدِه عن الحبيبة والديار.

#### 4- التشجير الموضوعاتي لموضوع المرأة في قصيدة "قفا نبك" ل "امرئ القيس":



هذا الرّسم البياني يوضّح أبرز التيمات الفرعية المنبثقة عن المتيمة الرئيسة "المرأة" هذه التيمة التي هيمنت في قصائد "امرئ القيس"، ومثلت محوراً رئيساً في دواوينه الشعرية، وقد أفرزت هذه التيمة عديد الموضوعات الفرعية التي ولدت هي بدورها فروعاً أخرى.

فالموضوع الفرعي الأول والمعنون ب "المرأة الحبيبة"، تطرّق فيه ومن المفردات الدالة على هذا الأنموذج (حبك، قاتلي، القلب، مقتل...).

أما الموضوع الفرعي الثاني المعنون بـ " المرأة/ المكان/ الوطن " فقد تفرّع عنه موضوعان هما: أما الموضوع الفرعي الثالث المعنون بـ " المرأة/ الجسد/ الجنس"، ومن المفردات الدالة عليه نذكر: (حبيب، منزل، وقوفا، رسم، صحي، المقرأة، جنوب، شمال، الحي، مطيهم...) أما الموضوع الآخر "المرأة/ المدينة/ الوطن" فتمظهر من خلال اتخاذ الروائي من المرأة كرمز يتحدّ من خلاله مع الوطن والمدينة، ومن المفردات الدالة عليه نذكر: (حبيب، منزل، الدخول، حومل، وقوفا، رسم، صحي، المقرأة، جنوب، شمال، الحي، مطيهم...).

## 5. خاتمة:

من خلال تناولنا لموضوع المرأة في قصيدة "قفا نبك" لـ "امرئ القيس" خرجنا بمجموعة من النتائج منها:

- 1- يعدّ الشاعر "امرؤ القيس" أكثر الشعراء العرب تطرّقا إلى موضوع المرأة خاصّة عبر أغراض المدح والغزل والوصف، وقد صوّر المرأة بمجموعة من الصّور جمعت بين العذريّة والإباحيّة، وقد كانت المرأة مصدر إلهامه، وتعبيره، وصوره الشعريّة المتخيّلة لحبه العميق لها.
- 2- إنّ مقارنة الموضوعاتيّة للمرأة في قصيدة "قفا نبك" تفرّع عنها ثلاث موضوعات فرعيّة تتمثّل في: المرأة الحبيبة، المرأة/ المكان/ الوطن، المرأة/ الجسد، الجنس.
- 3- استطاع الشاعر أن يقرب صورة المرأة من خلال الصّور الشعريّة، والرّمز، والخيال، وقد أسهم عرض الغزل في تقريب صور المرأة ومواصفاتها المعنويّة والحسيّة، وتعميق أبعادها الرّمزيّة، فهي تعدّت المدلول الطّبيعيّ كامرأة عاديّة بل كانت موطن الشاعر، وذاكرته، ومصدر فرحه، وشوقه، وحنينه، فكان يكي على بقايا الديار والرّسوم تعبيرا عن شدّة عذابه وحسرتة واغترابه العاطفيّ.

## 6. الهوامش:

<sup>1</sup> - مفقودة صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2000، ص

- <sup>2</sup> - يوسف وغليسي: التّحليل الموضوعاتي للخطاب الشّعري، كلام المنهج... فعل الكلام، دراسة، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص7.
- <sup>3</sup> - ينظر، يوسف وغليسي: التّحليل الموضوعاتي للخطاب الشّعري، ص7.
- <sup>4</sup> - مجموعة من الكتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت عدد 221، ماي 1997، ص96.
- <sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص96.
- <sup>6</sup> - محمد عزّام: التّقد الموضوعاتي في التّقد الأدبي، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، (د.ط)، (د.ت)، ص165.
- <sup>7</sup> - يوسف وغليسي: التّحليل الموضوعاتي للخطاب الشّعري، ص8.
- <sup>8</sup> - ينظر، مجموعة من الكتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ص101-102.
- <sup>9</sup> - المرجع نفسه، ص104.
- <sup>10</sup> - مجموعة من الكتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ص105.
- <sup>11</sup> - المرجع نفسه، ص107.
- <sup>12</sup> - المرجع نفسه، ص129-130.
- <sup>13</sup> - محمد التونجي: المعجم الفصّل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1999، ص841.
- <sup>14</sup> - نهاد التركلي: اتّجاهات التّقد الأدبي الفرنسي المعاصر، ص127، نقلا عن يوسف وغليسي: التّحليل الموضوعاتي للخطاب الشّعري، ص28.
- عبد الكريم حسن: المنهج الموضوعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص15.
- <sup>15</sup> - يوسف وغليسي: التّحليل الموضوعاتي للخطاب الشّعري، ص83.
- <sup>16</sup> -

<sup>17</sup> - المرجع نفسه، ص 67.

<sup>18</sup> - أحمد محمود الجوني، المرأة في الشّعر الجاهلي، دار الفكر العربي، مصر، ط2، (د. ت)،

ص 691.

- مفقودة صالح: المرأة في الرّواية الجزائريّة، ص 12. <sup>19</sup>

<sup>20</sup> - محمّد حسن عبد الله: الحبّ في التراث العربي، عالم المعرفة، الكويت، (د. ط)، 1980،

ص 13.

<sup>21</sup> - سراج الدّين محمّد، الغزل في الشّعر العربيّ، سلسلة مُبدعون، دار الرّاتب الجامعيّة، بيروت،

(د. ط)، (د. ت)، ص 8.

<sup>22</sup> - مفقودة صالح: المرأة في الرّواية الجزائريّة، ص 252.

<sup>23</sup> - صالح مفقودة، الأبعاد الفكرية والفنية في القصائد السّبع الجاهليّة، بحث مقدّم لنيل شهادة

الماجستير في الأدب العربيّ، جامعة الحاج لخضر 1 - باتنة -، 1989/1988، ص 90.

<sup>24</sup> - عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية، من إصدارات نادي الأحساء

الأدبي، السعودية ط1، 2011، ص 218.

<sup>25</sup> - هويدا صالح: نقد الخطاب المفارق السّرد التّسوي بين النّظرية والتّطبيق، رؤية للنّشر والتّوزيع،

القاهرة، ط1، 2014، ص 162.

<sup>26</sup> - إبراهيم رّماني: إضاءات في الأدب والثّقافة والإيديولوجيّة، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2009،

ص 330.

## 7. قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد محمود الجوني، المرأة في الشّعر الجاهلي، دار الفكر العربي، مصر، ط2، (د. ت).

2- إبراهيم رّماني، إضاءات في الأدب والثّقافة والإيديولوجيّة، دار الحكمة، الجزائر، (د. ط).

- 3- عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
- 4- عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية، من إصدارات نادي الأحساء الأدبي، السعودية، ط1، 2011.
- 5- سراج الدين محمّد، الغزل في الشعر العربيّ، سلسلة مُبدعون، دار الرّاتب الجامعية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- 6- صالح مفقودة، الأبعاد الفكرية والفنية في القصائد السبع الجاهلية، بحث مقدّم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربيّ، جامعة الحاج لخضر 1، باتنة، 1989/1988.
- 7- مجموعة من الكتاب: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة رضوان ظاظا، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت عدد 221، ماي 1997.
- 8- محمد التونجي: المعجم المفصّل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1999.
- 9- محمّد حسن عبد الله، الحبّ في التراث العربي، عالم المعرفة، الكويت، (د. ط)، 1980.
- 10- محمّد عزّام، النّقد الموضوعاتي في النّقد الأدبي، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، (د. ط)، (د. ت).
- 11- مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، دار القصة للنشر، الجزائر، (د. ط)، 2000.
- 12- هويدا صالح، نقد الخطاب المفارق السرد التسوي بين النظرية والتطبيق، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014.
- 13- يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، كلام المنهج... فعل الكلام، دراسة، دار الريحانة للكتاب الجزائر، (د. ط)، 2007.